ويكلّ البخور، إليّ بغزالي الأبيض، وبفاطمة، وسأريك الليلة كلّ وجدي!».

ترتجف من البرد، وترى الرجال البيض يرتجفون كذلك في هذا العمر الطويل، فتصرخ بلا صوت.

وعلى نحو أعظم من ذي قبل، يكبر الخدر، فيغدو جسمك كلّه لدناً، فتدور بإحساس من يعوم تارة، وبخفّة من يطير تارة أخرى.

وعبر النافذة العالية المفتوحة رحلتَ، تجوب أماكن غريبة عنك، تستكشف القصيّ، والمجهول، والغامض، والمخبوء، والمحرَّم، والمرغوب، والمشتهى.

تكون مع شيخك تارة، ومع نفسك ترود حالك المتقلّبة برهة فبرهة تارة ثانية، وقد ادركتَ ذلك من سماعك للقصائد؛ فقد كان يأتيك صوت الشيخ كرجعٍ بعيد، أو صدىً غائر.

تهتف بداخلك لفاطمة، ويتعاظم طيرانك خفاقاً، وعشتَ لحظات مديدات كمن ألْتَاثَ، أو أُخِذَ عن دنياه عندما صار صوت شيخك يختلج بكاءً مرّاً، وكان يضفي على الكلمات وجعاً يعذّبه ويسكرك.

وتمعن في الدوان، ويذهب بك الظنّ بأنّك لنْ تتوقّف أبداً، بل لن يكون لقوةٍ في الأرض قدرة على إيقافك، أو تثبيط ما يدفعك، أو ما يحثّك على المزيد.

خرج الغزال الأبيض من السجّادة ذاتِ النقوش، وصار يدور معك، وأمامك، ووراءك. كان لصقك تارة، ودونك تارة أخرى، ممعناً ببهائه، ومحوّطاً مثلك بالسحر.

طفتَ معه غاباته وسهوله، ورحلتما إلى أماكن لا تخطر على بال بشر!

هرعْت «فاطمة»! وصرختَ بلا صوت:

– «ياكون ما أسعدني».

يداك تشتبكان في يديْها، تحضنها وتحضنك، ويمعن الغزال الأبيض سرعاً ورشاقة. ويطلق الشيخ صيحة قويّة، يناديك:

– «ادخلْ يا مريد! فالإيوان منصوب!».

يهرع إليك يوقفك راجياً ومغتبطاً، يحوّطك بين ذراعيه، ويخيّم فرح على الوجوه، وتدخل نفسك في سلامٍ لن تنساه!

ويندفع الغزال الأبيض إلى السجادةِ ذاتِ النقوش ليسكن غابته. وباندفاعته هذه يخطئ مكانها، فيبلغ ذروة اهتياجه ويرتطم بقوّة بالحائط، ويطلق صرخة ذعر وألم وهو يسقط متكوّماً على الأرض مرتجفاً ونائحاً بصوت مخنوق، ثم ينطفئ إلى الأبد.

البرد يتعاظم، والألم يبلغ مداه الأقصى، والرجال بياض ممدود، والنوافذ مغلقة.

امرأةٌ من عسلْ

عدنان حافظ جابر

وجدتُ لكَ امرأةً
حين تراها بجانبك في الصباح
ستشكرُ اللّه والوالديْن
كلُّ نهارٍ تمنحكَ سبباً للحياةْ
ولا تعاف فخذيْها
بعد ليلةٍ أو ولَدَيْن

❦

وجدتُ لكَ امرأةً
كلامها يحكي
وصمتها يحكي
إنْ حاصرتكَ الهمومُ
ترمي رأسكَ على صدرها
فتطير الهمومُ.. بغمضةِ عينْ

❦

وجدتُ لكَ امرأةً
حين تضحكْ
تُمطرُ الدنيا
وحين تبكي
يكفكفُ دمعَها الطيرُ.. ومَلِكُ الجنّ

❦

وجدتُ لكَ امرأةً
جميلةَ العقلْ.. وجميلة الجسمْ
لا ترتوي منها.. ولا تَمَلّ
امرأةً من عسلْ
وهذا عنوانُها:
إبحثْ عنها طويلاً...

بلغاريا